إعجاز تهذيب النفس في الإسلام
كحلٍّ أساسيٍّ لتفادي المشاكل البشرية

يوسف خطَّار محمد

ملخَّص

إن هذا البحث دراسة عميقة لنوع من أنواع إعجاز القرآن الكريم

إن هذه المقالة أتحدث فيها عن الإعجاز النفسي في القرآن الكريم

لما لهذا الموضوع من تأثير عميق في النفس البشرية، وغداء روحي يرتقي بالروح على السمو والرقي

ويهذب السلوك البشري بعد التخلية عن التعلق الدنيوي، والتحلية بالصفات السامية والأخلاق الكاملة

وبالتالي نتوصل إلى سعادة الدارين، كل ذلك تحت راية الشريعة الإسلامية

وفي ظل الشريعة نصل إلى الغاية السامية والتخلص من آفات النفس الأمارة

وبهذا نصل إلى تزكية النفس والروح، وبعدها تصير قابلة للخير والتقوى، والنفس هي التي تتحكم بسلوك الإنسان

من أجل هذا كله كتبت هذه المقالة التي فيها الفوائد المؤدية إلى الحياة المطمئنة والسعادة الأبدية.

الكلمات المفتاحيَّة: النفس، الروح، التَّخلية، لقرآن الكريم، السلوك.

The miracle of self-discipline in Islam as a basic solution to avoid human problems

Dr. Yousef Khatar Mohamad

Abstract

This research is a deep study of a kind of miracle of the Holy Quran

This article is about the psychological miracle in the Holy Quran

Because of the deep impact this topic has on the human soul, and it is a spiritual lunch that elevates the soul to sublimity and sophistication

Human behavior is refined after renouncing worldly attachment, possessing high qualities and full morality

Thus, we reach the happiness of the two parents, all under the banner of Islamic law

Under Sharia, we reach the lofty goal and get rid of the pests of the Emirati soul

With this, we reach the recommendation of the soul and the soul, and then it becomes amenable to goodness and piety, and the soul is the one that controls human behavior

It is For all this I wrote this article in which the benefits that lead to a reassuring life and eternal happiness.

Keywords: Soul, Soul, renunciation, Holy Quran, behavior.

İnsani sorunlardan kaçınmak için temel bir çözüm olarak İslam'da öz disiplin mucizesi

Dr. Yusuf Hattar Muhammed

Özet

Bu araştırma, Kur'an-ı Kerim'in bir tür mucizesinin derinlemesine incelenmesidir

Bu makale Kur'an-ı Kerim'deki psikolojik mucize hakkındadır

Bu konunun insan ruhu üzerindeki derin etkisinden dolayı, ruhu yüceliğe ve gelişmişliğe yükselten manevi bir öğle yemeğidir

İnsan davranışı, dünyevi bağlılıktan vazgeçtikten, yüksek niteliklere ve tam ahlaka sahip olduktan sonra rafine edilir

Böylece, hepsi islam hukuku bayrağı altında iki ebeveynin mutluluğuna ulaşıyoruz

Şeriat altında yüce hedefe ulaşırız ve Emirlik ruhunun zararlılarından kurtuluruz

Bununla ruhun ve ruhun tavsiyesine ulaşırız ve sonra iyiliğe ve takvaya uygun hale gelir ve insan davranışını kontrol eden ruhtur

Bütün bunlar için güven dolu bir yaşama ve sonsuz mutluluğa götüren faydalar içeren bu makaleyi yazdım.

Anahtar Kelimeler: Ruh, Ruh, feragat, Kur'an-ı Kerim, davranış.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم المبعوث رحمةً للعالمين.

ونشكر الله عزَّ وجلَّ الذي خلق السماوات والأرض، وسخَّر لنا النعم ما ظهر منها وما بطن الذي أنزل القرآن الكريم كتابًا معجِزًا شاهدًا على وجود عظمته.

أضاء بأنواره قلوبًا قاسية ونفوسًا ميتةً، فبعث فيها الحياة، فصار أصحابُها قادة البشريَّة ودعاتها إلى الخير.

ولقد حاولت في هذه المقالة أن أتحدَّث عن الإعجاز النفسيِّ في القرآن الكريم؛ لما لهذا الموضوع من أثرٍ في نفس كلِّ سامع وقلبه، وتالٍ للقرآن الكريم.

فالقرآنُ الكريم قد أسَّس قواعد علم النفس وطرقَ تهذيبها، وإبرازَ الإنسان الكامل، وجعل البشر كلَّه يدين بالصفات السامية والأخلاق الكاملة، ليتوصَّل بذلك الى نيل السعادتين الدنيوية والأخروية تحت راية الإسلام، وفي ظلِّ الشريعة لهذه الغاية السامية، إلى هذا الأمل المنشود أنزل القرآنَ الحكيم على رسول الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم.

وإنّي لأرجو الله عزَّ وجلَّ أن أكون قد وُفِّقت في هذا العمل راجيًا منه القبول.

فكلَّ ما كان في هذه المقالة من صوابٍ فمن توفيق الله عزَّ وجلَّ، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن ينفعني بما كتبت وينتفع بها كلُّ المسلمين، وأن يُلهمني دائمًا الصوابَ والرشاد، والحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل

تفسير الإعجاز والنفس لغةً، واصطلاحًا، ومفهومهما.

تعريف الإعجاز لغةً

العَجْزُ نقيض الحزم، عجز عن الأمر يَعجَزُ عجزًا، والعِجز: الضعفُ،[١] وأصلُه: التأخير عن الشيء وحصولُه عند عَجُزِ الأمر؛ أي تأخُّره،[٢] وعَجُزَ يَعجُزُ عجوزًا: بمعنى صار عجوزًا عاجزًا.[٣]

تعريف الإعجاز اصطلاحًا

قال الجرجانيُّ: الإعجاز في الكلام هو أن يؤدِّيَ المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق،[٤] وقال الزُّرقانيُّ: المعجزة هي أمر خارقٌ للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يُظهره الله عزَّ وجلَّ على يد مدَّعي النبوَّة عند دعواه إيَّاه شاهدًا على صدقه.[٥]

تعريف النفس لغة

وعَيْنُ الشيءِ جاءنِي بنَفْسِهِ، النفس: الروح.[٦] خرجت نفسه أي روحُه،[٧] وقال صاحب الصِّحاح: ومن المجاز النفس بمعنى الدَّم، يُقال: سال نفسُه، أي دمُه.[٨] وجاء في أساس البلاغة: دفق نفسه أي دمُه، ومنه النِّفاس والنُّفساء؟[٩]

---

١ لسان العرب، ٥/ ٣٦٩.
٢ المفردات، ٣٢٥.
٣ المعجم الوسيط، ٥٨٥.
٤ التعريفات، ٢٥.
٥ مناهل العرفان، ١/ ٧٣
٦ القاموس المحيط، ٧٤٦.
٧ تاج العروس، ٤/ ٢٥٩.
٨ الصِّحاح، ٣/ ٩٨٤.
٩ أساس البلاغة، ٦٤٧.

تعريف النفس اصطلاحًا

قال الملَّا علي القارِيُّ: إنَّ النفس لطيفة في الجسد تولَّدت من ازدواج الروح والبدن واتِّصالها، والروح لطيفٌ روحاني والجسدُ كثيفٌ ظلماني، والنفس متوسِّطة بينهما، تقبل اللطافة الروحانيَّة والكثافة الجسمانيَّة، وهذا هو التسوية التي قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧].

فاستقامة الروح الروحانيّ في الروح النفسانيّ بمثابة النور في الحدقة، فصارت بها النفسُ قابلةً للخير والشر والفجورِ والتقوى، كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]، فإذا غلب الأمر بالفجور صارت تابعةً للهوى، سالكةً مسالك الرَّدى كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

وما أحسن قول بعض ذوي العرفان:

نونُ الهوان من الهوى مسروقةٌ***فصريع كلِّ هوًى صريعُ هوان[1]

مفهوم النفس في القرآن الكريم

لقد وردت لفظة النفس ومشتقَّاتها في القرآن الكريم أكثر من ثلاث مئة مرَّة، وهذا دليلٌ واضح على أهميَّة البحث في جوانب هذه الكلمة ومعانيها.

ولقد جاءت كلمة النفس في القرآن الكريم تحوي أكثر من معنى (روح)؛ فقد جاءت بمعنى الذَّات، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، وجاءت بمعنى الروح: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، وجاءت بمعنى العقل أو القلب، قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

فعلمُ النَّفس في القرآن الكريم يكشف مكبوتات النفس البشريَّة ويستخرج مخزونَها

١ البيت ذكره المستعصميُّ في الدر الفريد وبيت القصيد، ٩/ ٤٨٣؛ المبين المعين لفهم الأربعين، ٧٧٨ – ٧٧٩.

النفس البصيرة

هي النفس الواردة في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، وهي التي تتحكَّم بسلوك الإنسان، سواء بعلاقته مع ربِّه، أو بعلاقته مع الآخرين، ويُمكن لهذه النفس أن تدخل تحت مسمَّى النفس المطمئنَّة.

التزكية التخلية والتحلية

إنَّ حقيقة التزكية: تخليةُ النفس أوَّلًا؛ بتطهيرها عن الرذائل والمعاصي والذنوب، ثمَّ تحليتها بعد ذلك بفعل الطاعات والقربات، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فقوله تعالى ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ فيه إشارةٌ الى مقام التخلية عن السيِّئات بتطهيرهم عن الذنوب، وقوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ فيه إشارةٌ إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات، وتقديمُ التطهير على التزكية من باب تقديم التخلية على التحلية.

فلا بدَّ لمن أراد تزكية نفسه أن يقلع أوَّلًا عن الذنوب والآثام التي تُفسد القلب وتحجب عنه نورَ الهداية والإيمان.

المبحث الثاني

النفس في القرآن الكريم

معاني النفس في القرآن الكريم

لقد وردت كلمة (النفس) في القرآن الكريم في مواضعَ عديدةٍ منها:

١- النفس بمعنى القلب، وما يتَّصل به من الفؤاد والصدر وغيرِهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

٢- النفس بمعنى القُوى المفكِّرة بالإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

٣- النفس بمعنى الروح: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]

٤- النفس بمعنى الانسان كلّه جسدًا وروحًا: ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

٥- النفس بمعنى قُوى الخير والشرّ في الإنسان: فالنفس تُرشد وتدلُّ صاحبَها إلى الخير وتأمره أو تلومه على فعل السوء والشرّ، وهذا يظهر من خلال أعماله اليوميَّة قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

أنواع النفس في القرآن الكريم

لقد نصَّ القرآن الكريم على أصنافٍ كثيرة من النفوس منها:

١- النفس الأمَّارة بالسوء: هي النفس التي تدفع صاحبها بقوَّة إلى ارتكاب المعاصي والفواحش قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

٢- النفس اللَّوَّامة: هي النفس التي تلوم صاحبها بعد الوقوع في المعصية، قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢].

٣- النفس المطمئنَّة: النفس المطمئنَّة بالرضا والإيمان، وهي ترتقي في مدارج الإحسان والعرفان، وهي مطمئنَّة بوعد الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨].

منبع التزكية هو القرآن الكريم

أعظم ما تزكو به النفسُ القرآنُ الكريم الذي هو كتاب التزكية ومنبعُها ومصدرُها، فمن أراد لنفسه التزكية فليطلبها في كتاب الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ

ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: "ضمن الله لمن اتَّبع القرآن ألَّا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة"، ثمَّ تلا: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وقال الفُضَيلُ بنُ عياض رضي الله عنه: "إنَّما نزل القرآن ليُعمل به، فاتَّخذ النَّاس قراءته عملًا،[1] فمن أراد الله عزَّ وجلَّ به خيرًا كان من أهل تلاوة القرآن والعمل والإخلاص.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "كان الرجل منَّا إذا تعلَّم عشر آيات، لم يجاوزهنَّ حتَّى يعرف معانيَهنَّ والعمل بهنَّ".[2]

صفات النفس البشرية في القرآن الكريم

لقد أبرز القرآنُ صفات النفس البشريَّة في عدد كبير من الآيات القرآنية منها:

النفس هي التي تُدرك الخير والشرَّ؛ وذلك بالتمييز وبالاختيار بينهما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٨]، فالله وضع فيها القدرة على الاختيار فهي مُلْهَمةٌ؛ تعرف التقوى وتعرفَ الفجور.

٢- النفس هي التي تشعر: إنَّ الرضى والسخط والحزن محلُّه النفس، قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، حملت نفسُ الحبيب محمد صلَّى الله عليه وسلَّم مشاعرَ الحزن بسبب الحرص على هداية قومه قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧]، فقد سيطر الخوفُ على نفس سيِّدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

٣- النفس هي التي تموت: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، أي تخرج من الجسد وتفارق البدنَ، وليس المقصودُ العدمَ.

١ أخرجه الآجرِيُّ في أخلاق حملة القرآن، ٤١.

٢ أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٣٤٨٢.

٤- النفس هي التي تهوى: قال تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾ [النجم: ٢٣].

٥- النفس هي التي تأمر بالسوء: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: ٥٣]، النفس تأمر بالسوء لأنَّها تميل بطبعها إلى الشرّ أكثر من ميلها إلى الخير.

٦- النفس هي المسؤولة أمام الله تعالى: قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٧- النفس هي التي تُكلَّف: قال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، أي لا تُكلَّف نفسٌ إلَّا ما قد أُعطيت عليه القدرة من الطاعات.

٨- النفس هي التي تعمل: قال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [الزُّمر: ٧٠].

٩- النفس هي التي تكسب: قال تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٥١].

١٠- النفس هي التي تُوسوس: من صفات النفس الإنسانية أنَّها توسوس وتحدِّث نفسَها بما فيها من الشرّ أو الخير، وهذه الوساوس لا يحاسَب الإنسانُ عليها ما لم يقلْها أو يفعلها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ [ق: ١٦].

١١- النفس هي التي تظلم: قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤].

١٢- النفس هي التي تشتهي: قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١].

المبحث الثالث

تزكية النفوس

أثر تدبُّر القرآن الكريم في تزكية النفوس

إنَّ تزكية النفوس في تطهيرها من الأدران والأوساخ، وتنميتِها بزيادتها بالأوصاف الحميدة، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]؛ لذلك لا بدَّ من التخلية من الأخلاق الرذيلة وتحليتها بالأخلاق الفاضلة، وممَّا يُساعد على قوَّة التدبُّر حبُّ القرآن، وملازمةُ تلاوته وطهارةُ القلب بعدم الإصرار على المعاصي والذنوب، واختيارُ الأوقات كوقت التهجُّد فهو وقتٍ مبارك.

ولا بدَّ أن نستشعر أنَّ كلام الله عزَّ وجلَّ يخاطبنا نحن حتَّى نتأثَّر ويصل نورُه إلى قلوبنا وعقولنا، وحتَّى نتمكَّن من التدبُّر لا بدَّ من الاستعانة بتفاسير العلماء لفهم المعاني الدقيقة.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

أهميَّة تزكية النفوس

إنَّ الفساد المنتشر في البلاد هذه الأزمان ليس سببُه الضعفَ الاقتصاديَّ أو العلميَّ، بل الخللُ يكمن في النفوس، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

لذلك إذا أردنا إزالة الفساد من الأرض لا بدَّ من تزكية النفوس.

ينبغي على كل مسلم أن يزكِّيَ نفسه حتَّى يكون من أهل الفلاح، ويجاهدَ نفسَه ويتخلَّص من آفاتها، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

قال المراغيُّ: إنَّ تزكية النفس تارةً تكون بالعمل الذي يجعلها زاكيةً طاهرةً

كثيرة الخير والبركة بتنمية فضائلها وكمالاتها، ولا يكون ذلك إلَّا بابتعادها عن الشرور والآثام التي تعوقها عن الخير، وهذه التزكية محمودةٌ، وتارةً تكون بالقول بادِّعاء الكمال والزكاة، وقد اتَّفق العقلاء على استهجان تزكية المرء نفسَه بالقول ولو حقًّا، ومصدر هذه التزكية الجهلُ والغرور، ومن آثاره السيِّئة الاستكبارُ عن قول الحقِّ والانتفاع بالنُّصح.[1]

إنَّ النفس تدعو إلى السوء والطغيان وإيثار الحياة الدنيا، لذلك كان صلَّى الله عليه وسلَّم يستعيذ بالله من شرِّها قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «اللهمَّ آتِ نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكَّاها أنت وليُّها ومولاها»،[2] وكان يقول: «اللهمَّ ألهمني رشدي وقني شرَّ نفسي».[3]

إنَّ التزكية طريق الجنَّة: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

قال سهل: ترك الهوى مفتاح الجنَّة

وقال عبد الله بن مسعود: "أنتم في زمان يقود الحقُّ الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحقَّ، فتعوَّذ بالله من ذلك الزمان".[4]

إنَّ تزكية النفوس من أعظم مقاصد الدين، ومن أجلِّ وظائف المرسلين والأنبياء، وهو تنقية النفوس من الآفات وتجميلُها بالطيِّبات، فترسيخ الإيمان أقوى سببٍ لتزكية النفوس.

منهاج القرآن الكريم في تزكية النفوس

إنَّ تزكية النفس تكون بتطهيرها وتهذيبها وتنقيتها من الشوائب والكدورات، وكفِّها عن المحرَّمات، وزجرِها عن المعاصي والذنوب، وقمعِها وردعها وتوبيخها

١ تفسير المراغي، ٥/ ٦٠.
٢ أخرجه مسلم، ٢٧٢٢.
٣ أخرجه الترمذي ٣٤٨٣
٤ تفسير القرطبي، ١٩/ ٢٠٨.

إذا خالفت أمر الله عزَّ وجلَّ، وحملِها على طاعته، وخضوعِهما لجلاله، وخشوعها لهيبته، وتواضعِها لقدرته، ورضاها بقضائه وقدرته، وصبرِها على بلائه، وخوفها من بطشه، ورجائِها من عفوه، وشوقِها للقائه، ورقَّتها لخلقه، وذلَّتها للمؤمنين، وعزَّتِها على الكافرين، وعدائِها للشياطين. قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

نتائج تزكية النفس

لقد كان السَّلف الصالح يُولون أمر تزكية النفس وتطهيرِ القلب اهتمامًا بالغًا، ويقدِّمونها على سائر الأمور. قال عبد الرحمن بن القاسم الفقيه المالكي:

خدمت الإمام مالكًا عشرين سنةً، كان منها ثمان عشرة سنةً في تعليم الأدب، وأخذت منه العلم في سنتين.

وقد كان الإمام مالك يقول: ليس العلمُ بكثرة الرواية، وإنَّما العلم ما نفع، وعملَ به صاحبُه.[١]

وكان الإمام أحمد بن حنبل: إذا رأى طالب علمٍ لا يقوم من الليل يكفُّ عن تعليمه؛ فقد بات عنده أبو عصمة ليلةً من الليالي، فوضع له الإمام ماء الوضوء، ثمَّ جاءه قبل أن يؤذِّن للصبح فوجده نائمًا، والماء بحاله فأيقظه وقال: لم جئت يا أبا عصمة؟ فقال: جئت أطلب الحديثَ، قال: كيف تطلب الحديث، وليس لك تهجُّدٌ في الليل؟ اذهب من حيث جئت.[٢]

وقال الشافعي: ينبغي للعالم أن يكون له خَبِيْئةٌ من عمل صالحٍ في ما بينه وبين الله تعالى.[٣]

١ فتح القدير، ٤/ ٤٠٣.

٢ صفة الصفوة، ١/ ٤٨٠.

٣ تنبيه المغترِّين، ٣٤.

المبحث الرابع

مجاهدة النفس ومحاسبتها

متى يجوز أن نذمَّ أنفسنا؟ ومتى يجوز أن نمدحها؟

قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. قال صاحب اللُّباب:[١] "التزكية هاهنا عبارة عن مدح الإنسان نفسَه"، قال ابن عبَّاس: أي فلا تمدحوها، وقال الحسن: "علم الله من كلِّ نفسٍ ماهي صانعة وإلى ما هو صائرةٌ فلا تزكُّوا أنفسكم ولاتبرِّؤوها عن الآثام، ولاتمدحوها بحسن أعمالها".[٢]

وقال أبو حيَّان:[٣] "أي لاتنسبوها إلى زكاء الأعمال والطهارة عن المعاصي، ولاتُثنوا عليها واهضموها، فقد علم الله منكم الزكيَّ والتقيَّ قبل إخراجكم من صلب آدم، وقبل إخراجكم من بطون أمَّهاتكم".

وقال الكلبيُّ ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالًا حسنةً ثمَّ يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجُّنا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال الثعلبيُّ: "وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النجم: ٣٢] ظاهرةُ النهي عن تزكية الإنسان نفسَه".[٤]

وقال الزمخشريُّ: "وهذه إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء: فأمَّا من اعتقد أنَّ ما عمله من العمل الصالح من الله وتوفيقه وتأييدِه، ولم يقصد به التمدُّح: لم يكن من المزكِّين أنفسَهم؛ لأنَّ المسرَّة بالطاعة طاعةٌ وذكرُها شكرٌ".[٥]

---

١ اللُّباب في علوم الكتاب، ٦/ ٤١٩.

٢ الجامع لأحكام القرآن،١١٠/ ١٧، الدر المنثور، ٦٥٨/ ٧.

٣ البحر المحيط، ١٠/ ١٩.

٤ الجواهر الحِسان، ٥/ ٣٢٩.

٥ الكشَّاف، ٤/ ٤٢٦.

وأقول لا ينبغي للمؤمن أن يمدح نفسَه لِما قد يصاحبُه من الفخر والرِّياء والعجب ولإحباط العمل.

وأمَّا إذا دعت الحاجة لأن يمدح الإنسان نفسَه فجائزٌ؛ قال الإمام السيوطيُّ: "يحسن من الإنسان أن يُثنيَ على نفسه إذا هضم نفسَه".[١]

وقال الإمام السيوطيُّ: قال ابن الجوزيّ: "اعلم أنَّ المِدْحةَ إذا خلت عن البغي والاستطالة على أهل الحقِّ، وكان مقصودُ قائلها إقامةَ حقٍّ أو إبطالَ جَوْرٍ أو إظهارَ نعمةٍ لم يُلَمْ".[٢]

ويُمكن أن يمدح نفسَه إذا كان أهلًا لعملٍ ما، ونيَّتُه صالحةٌ اقتداءً بقول النبيّ الكريم سيّدنا يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]. قال القرطبيُّ: "دلَّت الآية على أنَّه يجوز للإنسان أن يصف نفسَه بما فيه من علمٍ وفضل".

ومن المواطن التي يجوز فيها الثناء ما قاله سيّدنا شعيبٌ عليه الصلاة والسلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

قال الطبريُّ: "أي في حُسْن الصُّحبة والوفاء بما قلت".[٣]

وقال الزمخشريُّ: "يريد بالصلاح: حسنَ المعاملة ولِينَ الجانب، ويجوز أن يريد الصلاح على العموم".[٤]

مجاهدة هوى النفس

إنَّ مجاهدة النفس ومخالفةَ هواها تحتاج إلى قدرة كبيرة وعزيمةٍ قويَّة، ومن جاهد نفسَه فتح الله عليه سُبُلَ الخيرات والبركات قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

١ نزول الرَّحمة في التحدُّث بالنعمة، ٢٣.
٢ نزول الرَّحمة في التحدُّث بالنعمة، ٣٢ – ٣٣.
٣ جامع البيان، ١٩/ ٥٦٥.
٤ الكشَّاف، ٣/ ٤٠٥.

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبع نفسَه وتمنَّى على الله الأماني».[١]

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا يؤمن أحدكم حتَّى يكون هواه تبعًا لما جئت به».[٢]

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «المجاهد من جاهد نفسَه في طاعة الله».[٣]

وقال أبو يعقوب النهرجوريُّ: كلُّ من ادَّعى محبَّة الله تعالى ولم يُوافق اللهَ في أمره، فدعواه باطلة، وكلُّ محبٍّ ليس يخاف الله فهو مغرور.[٤]

وقال ابن رجبٍ الحنبليُّ رضي الله عنه: إنَّ المحبَّة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقةَ في حبِّ المحبوبات وبغضِ المكروهات.[٥]

وقال أيضًا: المعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق: أنَّه الميلُ إلى خلاف الحقِّ[٦].كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، فالهوى هو البليَّة العظمى، فإنَّه منبع شهوات الدنيا.[٧]

وقال سيِّدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وتزيَّنوا للعرض الأكبر، وإنَّما يخِفُّ الحسابُ يوم القيامة على من حاسب نفسَه في الدنيا".[٨]

والعبد يحتاج إلى مجاهدة نفسِه أكثرَ من حاجته إلى جهاد الكفار، لأنَّ جهاد النفس فرضُ عين، وجهادَ الكفَّار فرضُ كفاية. وما أحسن قول بعضهم:

---

١ رواه الترمذي في سننه ٢٤٥٩، وابن ماجه في سننه ٤٢٦٠.
٢ رواه ابن أبي عاصم في السنَّة ١٥، والبيهقي في المدخل ٢٠٩، والبغوي في شرح السنَّة ١/ ٢٠١٣.
٣ رواه الترمذي في سننه، ١٦٢١.
٤ أخرجه أبو نُعَيْم في الحِلْية، ١/ ٣٥٦.
٥ جامع العلوم والحكم، ٤٣٠.
٦ جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٩٩.
٧ المبين المعين لفهم الأربعين، ٧٨٠.
٨ أخرجه احمد في الزهد، ٦٣٣.

إذا طالبتك النفس يومًا بشهوة وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنَّما هواها عدوٌّ والخلاف صديق[١]

وقيل لبعض الحكماء: من الملوك؟ فقال: من ملَكَ هواه، واتَّبع رضا مولاه.

وحُكي عن بعضهم: أنَّه كان يطوف بالبيت، فنظر إلى امرأة جميلةٍ، فمشى إلى جانبها ثمَّ قال:

أهوى هوى الدِّين واللذات تعجبني*** فكيف لي بهوى اللذَّات والدِّين؟

فقالت له: دع أحدهما تنلْ الآخِرَ.[٢]

وقال أبو علي الدقَّاق: من لم يكن له في بدايته قومةٌ لم يكن له في نهايته جِلسة.

وقال أيضًا: حركات الظواهر تُوجب بركات السرائر.[٣]

ورحم الله القائل: أصل المجاهدة وملاكُها فطمُ النفس عن المألوفات، وحملُها على خلاف هواها في عموم الأوقات.[٤]

من أمراض النفس الإنسانية

إنَّ أمراض النفس الإنسانيَّة متنوِّعة؛ فمنها ما يتعلَّق بالجانب المادِّي، ومنها بالجانب المعنوي:

١-الشحُّ: شحُّ النفس هو كثرة طمعها، وضبطها على المال، والرغبةُ فيه، وشحُّ النفس فقر لا يُذهبه غنى المال، بل يزيده قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] وأنفقوا ممَّا رزقكم الله

١ ذكرهما الثعالبي في التمثيل والمحاضرة، ٤٥٣.

٢ أخرجها ابن الجوزي في ذمّ الهوى، ٣٩، وعزاها الصفديُّ في الوافي بالوفيات، ٢١/ ١٨٩ لعلي بنِ عبد الله بن جعفر.

٣ الرسالة القشيرية، ١٧٦.

٤ الرسالة القشيرية، ١٧٧.

خيراً لكم، ومن سَلِم من البخل ومنع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكلِّ خيرٍ، الفائزون بكلِّ مطلب.

٢-الوسوسة: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، أي ما يختلج في سرّه وقلبِه وضميره، وفي هذا تعريضٌ بالإنذار وزجرٌ عن المعاصي التي يستخفي بها.

٣-التسويل: قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨]، بل زيَّنت لكم أنفسُكم الأمَّارة بالسوء أمرًا قبيحًا، فرأيتموه حسنًا وفعلتموه.

٤-الحسد: إنَّ الحسد المذموم شرعًا إنَّما هو الحسد بمعنى تمنِّي زوال نعمة الله عن الغير، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]، وأمَّا الحسد بمعنى تمنِّي أن يكون له مثل ما للآخَرِ فهو محمود قطعًا إن كان خيرًا أخرويًّا، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

واعلم أنَّ الخلوَّ من هذا الوصف الذميم يحتاج إلى شيخٍ كامل وإلَّا فصاحبُه لا يخلو منه، ولو بلغ في العبادة ما بلغ، إلَّا أن يتولَّاه الله تعالى بنفحةِ رحمةٍ من عنده.[١] قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطبَ أو قال: العشب».[٢] والحسد من الصفات المهلكة وهو حرامٌ.[٣] قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما أكثر عبدٌ ذكرَ الموت إلَّا قلَّ فرحُه وقلَّ حسدُه.[٤]

وقال معاوية رضي الله عنه: "كلُّ الناس أقدِرُ على إرضائه إلَّا حاسدَ نعمةٍ، فإنَّه لا يرضيه إلَّا زوالُها".[٥]

١ تنوير القلوب، ٤٩٥.
٢ رواه أبو داوود ٤٩٠٣، وابن ماجه ٤٢١٠.
٣ تبيين المحارم، ٣/ ٩٥.
٤ إحياء علوم الدين،٣/ ١٨٩، الزَّواجر، ١/ ١٠٣.
٥ نَضْرة النَّعيم، ١٠/ ٤٤٢٦.

الأمور التي تُعين على محاسبة النفس

١- استشعار أنَّ الله يراك وتذكُّر الحساب يوم القيامة ولا تنس الموت.

٢- مطالعة سِيَر الصحابة والسَّلف الصالح والاقتداءُ بسيِّد المرسلين صلَّى الله عليه وسلَّم.

٣- الصحبة الصالحة من أهمِّ ما يُعينك في الطريق إلى تزكية نفسك.

٤- طلب العلم وكثرة المطالعة بنيَّة العمل والتغييرُ للأكمل.

٥- الفهم الصحيح للوجود والمصير، فالهدفُ من الوجود هو عبادة الله وعمارةُ الأرض بالعدل والصلاح، والمصير بعد الموت هو الحسابُ والجزاء على السيِّئات والحسنات، وما يتبعه من نعيم أو عذاب أليم.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٦- تقوية الصِّلة بالله تعالى؛ وذلك بالحفاظ على الطاعات واجتناب المحرَّمات، والاستجابةُ لأوامر الله عزَّ وجلَّ فذلك هو سبب اطمئنان القلوب. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٧- إصلاح النفس بالتزكية والأخلاق: أي تربيةُ النفس على الفضائل والمحامد كالعفَّة والحياء وطهارة القلوب والأمانة وتزكيتُها من المفاسد والأخلاق الفاسدة. قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

٨- التفاؤل: التفاؤل يبعث في النفس الأملَ، ويقوِّي العزيمة ويدفع عنها أسباب اليأس.

المبحث الخامس

التطوُّر الماديُّ وأضرارُه على النفس البشرية

لا شكَّ ولا ريب أنَّ الحضارة الغربية، حقَّقت نجاحًا باهرًا منذ الثورة الصناعية وحتَّى وقتنا الحاضر، ولكنَّ المشكلة أنَّ هذا التطوُّر فقط باتِّجاه الناحية الماديَّة، وعلى حساب إنسانيَّة الإنسان.

فنجد مع كل هذا التطوُّر والتقدُّم نسبةَ الانتحار تزاد يومًا بعد يوم خاصَّةً في الدول الأوروبية، في حين نجد نسبة الانتحار قليلةً جدًّا في الدول العربية.

وكذلك نجد معدَّلات الجرائم وإدمان الكحول وانتشار الإباحيَّة والانهيارات العصبية كبيرةً جدًّا في الدول المتقدِّمة، ومنخفضةً في دول العالم الثالث.

إنَّ الأيديولوجيَّة الماديَّة المسيطرة تكبت الشخص، وتجعله كالآلة على وَفق خطَّةٍ معيَّنة، ومن ثَمَّ يُحرم من التغذية الروحية.

إنَّ نسبة الانتحار سنة ٢٠١٨ في أميركيا ٣١,٩٪ لكلِّ ١٠٠٠ نسمة، وفي روسيا ٣١٪ لكلِّ ١٠٠٠ نسمة، وفي فرنسا ١٧,٧٪، وفي سويسرا بلغت ٧,٢٪.

أقول: مهما بلغ الانسان من التطوُّر الماديّ إذا لم يكن معه التطوُّر الروحيُّ فلن يشعر الإنسان بإنسانيَّةٍ، ولن يحصل على السعادة أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

علاج النفس البشرية من الأمراض عند الغربيّين

يركِّز علماء التحليل النفسي سيجوند فرويد وأتباعه في دافعين أساسيّين هما: دافعُ الجنس ودافعُ العدوان، ويرون أنَّ الانجراف يرجع الى اضطرابِ نموِّ الأنا، وعجزِ الأنا الأعلى عن التحكُّم في الهو.

ويرون أنَّ السرقة ترتبط بالجنس، فهي البديل للاستمناء الذاتيّ، ويقول أصحاب نظريَّة الذات -وعلى رأسهم كارل روجرز- أنَّ الانحراف يحقِّق نظريَّة الذات، وسببُه هو جهل الفرد بخبراته الحقيقيَّة، فنموُّ السلوك النفسيّ لا يتوافق مع بنية الذات، ويُرجعون الانحراف أيضًا لعدم التوافق مع عدم قدرة الفرد على التمييز بين الأشياء ويرى بعض العلماء أنَّ الانحراف النفسيَّ يعود للتمرُّد على القِيَم الاجتماعية.

وينظر رجال القانون من العلماء الغربيّين إلى علاج السلوك المنحرف لا بد أن ينال المجرم جزاءً وفاقًا عادلًا رادعًا؛ لأنَّ التضحية بالشخص المنحرف المؤذي للآخرين حرصًا على المصلحة العامَّة،[١] وعبرةً وعظةً لغيره، وهذا يُوافق شرعنا قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقال مندميث ستراوس: إنَّ سلوك المنحرف يكون نتيجةَ أمراضٍ اجتماعيَّة متغيّرة مثل الهجران والطلاقِ وتعدُّد الزوجات والانهيار الأسريّ، ويؤكِّد علماءُ النموِّ النفسي العلاقةَ الوطيدة بين إحباطات الطفولة والضغظ الزائد والتنشئة الاجتماعيَّة في المراهقة وما بعدها، وقال بول ريكور: إنَّ هناك أفعالًا وسلوكيَّاتٍ تصدر عنَّا، فنستغربها؛ لأنَّنا نجهل أسبابها ودوافعها الحقيقيَّة، إنَّنا ننسى أو نحبُّ أو نكره أو نقلق أو نرتاح دون أن تتبيَّن وتتجلَّى لشعورنا العللُ الحقيقيَّة لهذه التصرفات.[٢]

وقال فرويد: إنَّ العدوان ينشأ من كبت الميول المختلفة، ثمَّ تطوَّرت هذه الفكرة عنده وأصبح ينظر إلى العدوان على أنَّه استعدادٌ غريزيٌّ.[٣]

وأقول: إنَّ العلاج الحقيقي يعود لصلة العبد بخالقه سبحانه وتعالى، فتأثير الروح على النفس البشرية لها الدور الأساس في الوصول الى حصانته من الأمراض النفسيَّة.

تقويم السلوك المنحرف من منظور العلماء الغربيّين

يُعرِّف ميرتون السلوكَ الانحرافيَّ على أنَّه: السلوكُ الذي يخرج بشكل ملموس

١ الموجز في التحليل النفسي، ٢٨ بتصرُّف.

٢ صراع التأويلات، ١٦.

٣ الموجز في التحليل النفسي، ٣٠.

عن المعايير التي أُقيمت للناس في ظروفهم الاجتماعية.

نجد أنَّ هذا التعريف يركِّز في كلِّ فعلٍ يقوم به الفردُ يتخطَّى المعايير المقبولة اجتماعيًّا داخل النسق الكلِّيِّ للمجتمع.

كما يعرِّفه كوهين على أنَّه: السلوك الذي يتعدَّى على التوقُّعات التي تمَّ الاعتراف بشرعيَّتها من قِبَل المؤسَّسات والنُّظم الاجتماعية.[1]

ولقد اتَّخذ فرويد أسلوبًا جديدًا متميِّزًا عن الأسلوب التقليديِّ في تفسير السلوك الفرديِّ بصفةٍ عامَّة وظاهرةِ الانحراف بصفةٍ خاصَّة.

لقد كان الأسلوب القديم يقتصر على تحليل جوانب التكوين النفسيِّ بالاستعانة بالتكوين العضوي،

فكانت ظاهرةُ الانحراف والجريمة تفسَّر استنادًا الى تغيُّراتٍ نفسيَّة ترجع بدورها الى تغيُّرات في الجهاز العصبي.

ولقد نادى فرويد بالتوغُّل في البحث الموضوعي والجنسيِّ، وذلك بالدخول في أعماق النفس البشرية لكشف البواعث والأسباب التي تقف وراء الظواهر النفسية المختلفة، وبذلك توصَّل إلى أسلوب التحليل النفسي الذي يكشف عن الجانب اللاشفوي.[2]

وأقول: إنَّ التركيز في الدافع الجنسيِّ والعدوانيِّ بكونه الأساس الأوَّل لتفسير السلوك السويِّ الناجح؛ هذا يقلِّل من قيمة الإنسان، وبذلك يتغاضون عن الجوانب الروحيَّة التي تغذِّي النفس تغذيةً ربَّانية تُحصِّنه من الآفات.

الخاتمة

لقد جاءت هذه المقولةُ موضِّحةً وجهًا من وجوه الإعجاز القرآني ألا وهو الإعجاز النفسي؛ فالقرآن الكريمُ يوضِّح فطرةَ النفس، وأنَّها مجبولةٌ على الإيمان،

١ الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، ٢١.

٢ الموجز في علمي الإجرام والعقاب، ٦٨.

وأنَّ الله مطَّلع على أسرار النفس الإنسانية، والقرآنُ الكريم يكشف عيوب النفوس وأمراضها ويبيّن علاجها.

والقرآن الكريمُ يرشد إلى الوقاية من الأمراض النفسية؛ وذلك من خلال: الإيمان بالله وأثرِه النفسيِّ، والإيمان بالقضاء والقدر وأثره النفسي.

أسال الله عزَّ وجلَّ أن يُلهمني الصواب والرشاد، والحمد لله ربِّ العالمين.

نتائج البحث

١- تزكيةُ القرآن للنفوس تحقِّق للإنسان السعادة والنجاح في الدارين.

٢- تزكيةُ القرآن للنفوس منزلةٌ عظيمة ومكانة رفيعة فبها يُنال رضا الرحمن.

٣- تزكيةُ القرآن للنفوس طريق الوصول إلى مقام الإحسان.

٤- تزكيةُ القرآن للنفوس توصل الى تذوُّق حلاوة الإيمان.

٥- تزكيةُ القرآن للنفوس سبب لترسيخ الإيمان وتثبيته.

٦- اهتمَّ القرآن الكريم بتزكية النفوس اهتمامًا عظيمًا يتمثَّل بما اشتملت عليه آياتُه الكريمةُ من معالم منهجٍ متكاملٍ لتزكية النفوس.

٧- تزكية القرآن للنفوس من أعظم مقاصد الدين، ومن أعظم وظائف الأنبياء والمرسلين، ومن أهمِّ المطلوبات من أتباعهم المؤمنين.

٨- تزكية القرآن للنفوس هو تنقيتُها من الآفات وتزيُّنها بالطيِّبات إخلاصًا لله عزَّ وجلَّ، واقتداءً برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

٩- إنَّ الشريعة الإسلامية بما فيها من اعتقاداتٍ وأحكام وأخلاقٍ في جميع المجالات؛ كلُّها طريقٌ لتزكية النفوس.

١٠- القصص القرآنية كلُّها ذات آثارٍ سلوكيَّة وتربويَّة فعَّالة تعود على النفس البشرية بالتزكية والتطهير.

المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، دار المنهاج السعودية، ط١، ٢٠١١م.
- أساس البلاغة، الزمخشري جار الله محمود بن عمر، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- البحر الزخَّار المسمَّى (مسند البزار) الحافظ أحمد بن عمرو البزار، ت محفوظ الرحمن زين الله، ط١، ١٩٨٨م
- تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار ليبيا، بنغازي.
- تبيين المحارم، سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الحنفي، ت خالد حسن هنداوي، ط١، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.
- التعريفات، الشريف الجرجاني علي بن محمد الحسيني الحنفي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير الطبري عُني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الإعلام، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن ابي بكر القرطبي، ت أحمد عبد العليم البردوني، طبعة مصورة، لبنان، ط٢، ١٩٨٥م.
- التفسير الكبير، المسمى مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ت مجموعة من العلماء، طبعة مصورة، لبنان، ط٣.
- تفسير الكشاف، الزمخشري جار الله محمد بن عمر، ت خليل مأمون شيحه، دار المعرفة، بيروت.
- التقرَّب إلى الله تعالى، عبد الله سراج الدين الحسيني، دار المنهاج القويم، سوريا، دمشق، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.
- التمثيل والمحاضرة، عبد الملك أبو منصور الثعالبي، ت عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، مصر، ط٢، ١٩٨٣م.
- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، محمد أمين الكردي الإربلي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، ت وهبة الزحيلي، دار الخير، دمشق، سورية، ط٥، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نُعَيم، دار الريان مصر، ط٥، ١٩٨٧م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- ذمُّ الهوى، عبد الرحمن بن علي البغدادي المعروف بابن الجوزي، ت خالد عبد اللطيف، دار الكتاب العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- الرسالة القُشَيرية، عبد الكريم بن هوازن القُشَيْري، ت عبد الكريم العطا، مكتبة الإمام الأعظم أبي حنيفة، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
- الزهد، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الحديث، القاهرة.
- سنن ابن ماجه، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
- سنن أبي داود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، دار جنان، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق وشرح أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
- شرح السنَّة، الحسين بن مسعود البغوي، ت سعيد اللحام، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، ت خليل مأمون، دار المعرفة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- الصِّحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت أحمد عبد الغفور عطار.
- صحيح البخاري، ت محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النسيابوري، اعتنى به ياسر حسن وغيره، الرسالة ناشرون.
- صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية، بول ريكور، ترجمة: منذر عياشي، مراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٥.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، دار الرسالة، ط٣.
- لسان العرب، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
- المبين المعين لفهم الأربعين وهو شرح الأربعين النووية، العلامة الملا علي القاري، ت حمزة البكري، دار اللباب، إسطنبول، تركيا، ط١٤٤١،٢هـ/ ٢٠١٩م.

- المستدرك، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- مسند أحمد، مطبعة صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ.
- المصنَّف، الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت محمد عوَّامة، دار المنهاج، السعودية، ط٢، ٢٠٠٦م.
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، ت محمود الطحان، مكتبة المعارف، السعودية، ١٩٨٥م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، ١٩٨٩م.
- المفردات، الراغب الأصفهاني، الحسين بن أحمد، المكتبة الوقفيَّة.
- مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة سامي محمود علي، عبد السلام القفاش.
- الموجز في علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ١٩٩١م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن أبيك الصفدي، دار فرانز شتانير، ألمانيا، ط٢، ١٩٩١م.